

استيعاب ما سمعه من أفكار، إذ تحملها كلمات طائفة في الأخير، لا يمكنه أن يعود إليها ولا معاودة النظر فيها. وهو فارق مهم بين الكلمة المسموعة والأخرى المقروءة، ففي الثانية نختار الموضوع الذي نقرؤه ونختار الكاتب الذي نقرأ له، وإذا قرأنا أخذنا الفرصة لنتمهل ولنتأمل فيما نقرؤه، ولنتمتع به متعة يظل أثرها طويلاً في نفوسنا، كما تظل المعارف التي يعرضها باقية في أذهاننا، وإذا أعجبتنا فقرة في الموضوع المعروض أعدنا قراءتها وقد نعيد القراءة مراراً، ونحن في أثناء ذلك نسيغ ما نقرأ أكثر فأكثر، وتأخذ الفرصة كاملة للتفكير فيما نقرأ. أما مع الإذاعة مسموعة ومرئية فإن تفكيرنا يصيبه تعطل أو قل شلل، إذ تصبح أذهاننا مشدودة إلى المتكلم دون أى جهد ذهني، وكأننا ننوم وبعض الناس ينامون فعلاً في أثناء استماعهم لبعض المواد الثقافية التي تعرضها الإذاعة.

ومعنى ذلك كله أن الكلمة المقروءة ستظل المصدر الحقيقي للثقافة، إذ معها نستطيع أن نرجع إلى ما قرأناه في كتاب أو مسرحية أو ديوان، ونقرؤه مرة أو مراراً، وتأخذ أذهاننا الفرصة ليزيد محصولها من المعرفة ومن الخواطر والأفكار. وليس ذلك فحسب فإن الثقافة التي تعرضها الكلمة الإذاعية المسموعة ثقافة سطحية تتفق والجاهير التي تستمع إليها من الأميين وغير الأميين، إذ ينبغي أن لا يعلو ما تحمله على المستوى العقلي العام للأمة، وهي لذلك لا تتعمق في عرض النظريات العلمية ولا المذاهب الفلسفية، بل سيظل ذلك دائماً في حوزة الكلمة المطبوعة وما نقرأ من كتبها ولن تهب منه شيئاً للكلمة الإذاعية المسموعة إلا ما قد يسقط إليها عفواً أو ما قد يلتم به المتكلم إلماماً خاطفاً.

وصفات أساسية تحتفظ بها ثقافة الكلمة المطبوعة وتفقدتها ثقافة الكلمة المسموعة، وهي التعمق في قراءة العلوم النظرية والتجريبية والمذاهب الفكرية والفلسفية، فأنت مع الكلمة المسموعة تظل دائماً عند السطح والقشور، ولا تستطيع التغلغل إلى ما وراءها لا في علم ولا في فكر حتى الفكر السياسي الذي تعنى بعرضه لا تستطيع أن تعرض مذهباً فيه عرضاً تفصيلياً عميقاً. ويفقد